عقيدة المسلم

القدر خيره وشره من الله عز وجل

وثبت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان وعرشه على الماء "خمسين ألف سنة"، كتابة المقادير سابقة لخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة » وقال –عليه الصلاة والسلام–: « أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: يا ربِّ وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» وفي لفظ: « فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » هاتان مرتبتان لا بد من الإيمان بهما.

المرتبة الثالثة:

الإرادة والمشيئة، وهو أن كل شيء يقع في هذا الوجود لا بد أن تسبق وجوده مشيئة الله وإرادته، لا يمكن أن يقع في الكون إلا ما شاءه الله، إلا ما شاءه وأراده –سبحانه– وتعالى، لا يقع في ملك الله إلا ما يريده، هذه المرتبة الثالثة.

المرتبة الرابعة:

الخلق والإيجاد، الإيمان بأن الله خلق وأوجد كل شيء في هذا الكون، كل شيء في هذا الكون فالله خلقه وأوجده: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فهذه مراتب القدر الأربعة من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر، أهل السنة والجماعة آمنوا بهذه المراتب وكلها سمعتم الأدلة عليها من الكتاب العزيز.

[شرح فصل الإيمان بالقضاء والقدر للشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي]

[المتن]

وقالا: والقدر خيره وشره من الله عز وجل.

[الشرح]

هو مستمر في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو متصل بما قبله، لأن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تَبَارَكَ وتَعَالَى، وذلك « أنّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى لما خلق القلم قال له: أكتب. قال: وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة. فجرى القلم بمقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة من خير وشر »، ومن تقدير الأمور كلها من خلق المخلوقات وأعمال المخلوقات ومآل المخلوقات، إلى جنة أو نار، كل ذلك قد فُرغ منه. والإيمان بالقدر خيره وشره يستلزم السّعي الحثيث في فعل الطاعات والبعد عن السيئات والمحرمات، ولا يجوز لأحد أن يحتج بالقدر فيترك الطاعات ويرتكب السيئات بحجة أن الله قد قدّر،لا يجوز ذلك. لهذا لما سئل النبي صلّى الله عليه وسلم فقيل له: هل العمل في شيء قد فُرغ منه أو في شيء مستأنف؟ قال: « بل في شيء قد فرغ منه، ولكن اعلموا فكل ميسر لما خلف له، فأما من كان من أهل السعادة فسييسر لأهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فسييسر لعمل أهل الشقاء » فاعتبر النبي صلّى الله عليه وسلّم عنوان السعادة صالح العمل وعنوان الشقاء سيء العمل، فما زاد أصحابه إلا اجتهادا في عمل الصالحات والبعد عن السيئات، قالوا: الآن نجتهد.

[شرح عقيدة الرازيين للشيخ زيد بن محمد المدخلي]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قليله وكثيره، بقضاء الله وقدره، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلا، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلا، فهو سر استأثر به، وعلم حجبه عن خلقه، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ قال الله –عز وجل–: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ وقال –تعالى–: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وقال –عز وجل– ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

وقال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

وقال تعالى: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

نعم، انتقل المؤلف –رحمه الله– إلى مبحث القضاء والقدر فقال: "وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره"، نعم كما قال المؤلف –رحمه الله–: أجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقضاء والقدر وما أمر الله تعالى في كتابه، أمر الله تعالى بالإيمان بالقرآن والله تعالى أخبر بقضائه وقدره وأنه قدر الأشياء، فالإيمان بالقدر واجب بالكتاب والسنة والإجماع قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وقال –سبحانه–: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

وفي السنة المطهرة في حديث جبرائيل المشهور: لما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الإيمان فقال: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره »

والإجماع، أجمع العلماء وأئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر، فالإيمان بالقدر واجب بالكتاب والسنة والإجماع، والإيمان بالقدر يشمل الإيمان بمراتبه الأربع، له أربع مراتب لا بد من الإيمان بها، من لم يؤمن بهذه المراتب لم يؤمن بالقدر.

المرتبة الأولى:

العلم الشامل لكل شيء، للماضي والحاضر والمستقبل والمستحيل أيضا، فالله –تعالى– يعلم ما كان في الماضي، ويعلم ما يكون في المستقبل والحاضر، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، لا بد من أن نؤمن بهذا، الله –تعالى– علم الأشياء قبل كونها، علم الأشياء في الماضي، ويعلم الأشياء في المستقبل والحاضر، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، حتى الذي لا يكون يعلمه.

قال الله –تعالى– عن الكفار: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم، ما أسمعهم الآن لكن أخبر عن علمه: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ وقال الله –سبحانه– عن الكفار لما طلبوا الإعادة إلى دار الدنيا: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ لو ردوا لكن لا يردون، ما يمكن أن يردوا: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾

وقال عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾

هذه المرتبة الأولى العلم.

المرتبة الثانية:

الكتابة، وهو الإيمان بأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، كل ما يكون من الذوات والصفات والأقوال والأفعال والحركات والسكنات والرطب واليابس، قال الله –تعالى–: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ وقال –سبحانه– ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ وقال –سبحانه–: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ، فيه إثبات العلم وإثبات الكتابة، وقال –سبحانه–: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ، هو الإمام، وقال –سبحانه–: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾